المدارس المعجمية العربية

نشأتها - تطورها - مناهجها

الدكتور

صلاح رواى

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الناشر

دار الثقافة العربية

٣ شارع القصبان - القاهرة

ت/ ٣٥٤٢٧٠٦

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله أشرف النبيين وخاتم المرسلين، هادي الأمة ، وكاشف الغمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد

فحينما أسند إليّ تدريس مادة « المعاجم اللغوية العربية » بمعهد السلطان قابوس العالي للدراسات الإسلامية بولاية صُحَار من سلطنة عمان ، صادف ذلك الأمر هوى في النفس ، ولمس وترا نابضا من شغاف القلب ؛ وتمثلت أمامي الآثر المأثور « يثاب المرء رغم أنفه » ؛ إذ ظللت فترة من الوقت ليست بالقصيرة ، بدءا من أيام الطلب بكلية دار العلوم العريقة ، ومرورا بتدريس مادة «المعاجم اللغوية العربية » بأقسام اللغة العربية في بعض الكليات – عن طريق الندب – منها كلية الألسن ، وكلية البنات بجامعة عين شمس ؛ وانتهاء بتدريسها بمعهد السلطان قابوس العالي للدراسات الإسلامية – عن طريق الإعارة – : طيلة هذه الفترة تثور في النفس تساؤلات حول قضايا معجمية معينة، لم يوفها اللغويون حقها من البحث والدرس ، وتتمثل أمام الناظر علامات استفهام حيال أمور بعينها ، لم يتوفر العلماء على كشف غموضها ، وتجليتها، بل نفضوا أيديهم منها بمجرد إثارتها دون أن يقولوا فيها الكلمة الأخيرة.

ظلت هذه التساؤلات وعلامات الاستفهام تتراقص أمام ناظري ، أينما يممت ، وتلح عليّ حيثما ولّيت وجهي ، كي أجليها ، وأكشف عنها ما يكتنفها من غموض، وأنا أتحين الفرص، وأحاول أن أجد لها زمانا ومكانا بين اهتماماتي البحثية التي كنت محكوما بإنجازها لظروف ملحة وضرورية ... حتى وقعت الفرصة سانحة بين يدي ، بل دفعت إلى اقتناصها دفعا ، بإسناد تدريس المادة إليّ ، فلم أجد مناصا

ولم أملك مهربا ، من التوفر على لَمِّ الشعث ، وجمع ما تفرق من ملاحظات كنت أدونها في قصاصات أثناء قراءاتي واطلاعاتي ، وأودعها درج مكتبي حول هذه التساؤلات وعلامات الاستفهام ، حتى يأذن الله – جل وعلا – لها بالخروج إلى النور وقديما قال العرب : الأمور موهونة بأوقاتها ..

وفي سبيل إخراجي لهذه الدراسة حول «المعاجم اللغوية العربية» ، لم يكن اهتمامي منصرفا بالدرجة الأولى إلى عرض جهود اللغويين العرب في مجال التأليف المعجمي ، أو مناهجهم في مؤلفاتهم ، أو تطور التأليف في هذا المجال ، على النحو الذي تسير عليه الدراسات المعجمية التقليدية ؛ وإن جاء ذلك طلبا لما تقتضيه طبيعة البحث ، ومسايرة لما تتطلبه الإجابة عن علامات الاستفهام المثارة. تلك التي ظلت تشغل حيزا كبيرا من خاطري وتحتل مساحة متسعة من فكري طيلة ما يزيد على عشر سنوات ، وتكمن هذه التساؤلات في :

– ما مدى صحة نسبة كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي؟

– ما موقف الخليل من أولية التأليف المعجمي.

– من مبتكر مدرسة القافية ؟ ومن رائدها ؟

– من مبتكر مدرسة الأبجدية ؟ ومن رائدها؟

– هل أبجدية المعجم أبجدية عادية أم عربية؟

– هل تُعدُّ المدرسة الواقعية مدرسة معجمية حقيقية؟

– إلى غير ذلك من التساؤلات وعلامات الاستفهام التي قد تثار عرضا من خلال البحث.

وسيرا على هذا النهج الذي أخذت نفسي به ، والتزمته منذ باكورة التفكير في إخراج هذه الدراسة ، فقد جعلتها في مباحث ثلاثة : خصصت المبحث الأول ببيان الأسباب التي دعت المفكرين العرب إلى تأليف المعاجم اللغوية ، ثم عرضت لتطور التأليف المعجمي ، وأي الموضوعات كان أسبق بالتأليف فيه .

والمبحث الثاني عرضت فيه لاشتقاق لفظ المعجم ، ودلالته والأمور التي يجب مراعاتها عند وضع المعجم ، ومستوى اللغة المستخدمة في تحرير المعجم ، ونوعية التأليف في المعاجم مقارنة بالتأليف في غيرها من المصنفات .

والمبحث الثالث خصصته بعرض المدارس المعجمية العربية ، فقسمته إلى فصول أربعة . عرضت في الفصل الأول «مدرسة التقليديات» بكل جوانبها ، ومن خلالها عالجت أهم قضيتين فيها : مدي صحة نسبة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومكانة الخليل من أولية التأليف المعجمي.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن (مدرسة القافية) بكل ما تتطلبه الدراسة المعجمية الجادة ، ومن خلال ذلك حاولت كشف النقاب عن قضيتين كانتا موضع خلاف بين المؤلفين والمصنفين في الدراسات المعجمية وهما : مبتكر مدرسة القافية وراندها الحقيقي .

وتحدثت في الفصل الثالث عن (مدرسة الأبجدية العادية) على حد تعبير المصنفين في دراسة المعاجم العربية – ومن خلالها عالجت أيضا ما اختلفت فيه آراء اللغويين ، وحاولت أن أوفق بين هذه الآراء ، وأخرج بالرأي الراجح المقبول حول مبتكر مدرسة الأبجدية ، وراندها الحقيقي ، وهل الصحيح أن نقول «الأبجدية العادية» أو «الأبجدية العربية» .

وتناولت في الفصل الرابع « المدرسة الواقعية » وتحدثت عن القائلين بها

والغرض منها ، هو ا...ن ... عقبت بما تراه ... مدى الاعتداد بها كمدرسة معجمية بالمعنى الصحيح.

ثم ختمت دراستي بثبت للمراجع والمصادر التي رجعت إليها ، وما تقيت منها مادة هذا البحث ، حتى لا أحيف على حق أحد من العلماء ، عملاً بمبدأ وجوب عزو الفضل إلى ذويه ، وقد وسمت هذه الدراسة باسم « المدارس المعجمية العربية ».

والله أسال أن ينفع بهذه الدراسة ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن تمثل لبنة في صرح لغتنا العربية ، لغة القرآن الكريم .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل ،

دكتور

صلاح رواي

حدائق القبة في : ١٤ رجب ١٤١٠ هـ.

٩ فبراير ١٩٩٠ م.

المبحث الأول

التأليف المعجمي وتطوره

الأسباب التي دعت إلى تأليف المعاجم اللغوية

ظلت اللغة العربية محتفظة بسلامتها ، ممتنعة باستقلالها ، لم يتسرب إليها لحن ، ولم يتطرق إليها خطأ طالما لم يختلط العرب بغيرهم من أهالي البلاد المجاورة لهم ، كالفرس ، والهنود واليونان ، حيث كان العربي ينطق العربية الفصحى بالسليقة ، دون ما كتاب يقرؤه ، أو معلم يقوِّم لسانه ، وكلما أوغل العربي في البداوة ، كلما صحت عربيته ، واستقام لسانه ، وعلى النقيض من ذلك كلما اقترب من أطراف الجزيرة العربية ، انماعت عربيته ، وفترت سليقته ؛ وما كان لجوء العرب إلى استرضاع أولادهم في قبائل سعد بن بكر ، إلا لكونها موغلة في البداوة ، ولم يتصل أبناؤها بغيرهم من أهالي البلاد المجاورة لهم ، مما ضمن لهم سلامة اللغة ، واستقامة اللسان ، حتى قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – منوها بفصاحته: « أنا أفصح العرب ولدتني قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر » . وقيل : إن الأعرابي الذي جيء به ليكون حَكَماً بين سيبويه والكسائي في مناظرتهما المعروفة باسم « المسألة الذنبورية » كان من بني سعد بن بكر .

وكذلك عندما أخذ العلماء في جمع المادة اللغوية من القبائل ، إبان بدء التقعيد للغة العربية ، بدأوا بتحديد القبائل التي ترتضي عربيتها ، فيؤخذ منها ، وقد روعي في ذلك أن تكون من القبائل الموغلة في البداوة التي يُطمَأن إلى عدم اتصالها بغير العرب ، كما نصوا على القبائل التي لا يجوز الأخذ منها ، لكونها قريبا من أطراف الجزيرة العربية ، خشية مظنة الاتصال بجيرانهم من أهالي فارس أو الشام أو الهند أو اليونان ، مما يفسد عربيتهم ، ويقال من فصاحتهم .

وبعد خروج بعض القبائل في هجرات إلى خارج الجزيرة العربية ، أزمان

القحط والجفاف الذي كان ينتاب بعض مواطن الجزيرة من آن لآخر ؛ وكذا اختلاط العرب بغيرهم في رحلات التجارة مثل رحلتي الشتاء إلي اليمن ، والصيف إلى الشام ؛ وبعد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية ، بدأ عرب الجزيرة يختلطون بغيرهم من أهالي البلاد المحيطة بهم .

وأوضح صورة لاختلاط العرب بجيرانهم ، ماتم في عصر الدولة العباسية بقسميه : الأول والثاني ؛ إذ من المسلم به أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ، وكان فرسا الرهان في تثبيت دعائم دول بني العباس أبو سلمة الخلال في العراق ، وأبو مسلم الخراساني فيما وراء النهر؛ وبعد أن استتب الأمر للعباسين ، وتثبتت أركان الدولة ، بدأ الفرس يطالبون خلفاء بني العباس بثمن مساعدتهم لهم في قيام دولتهم ، وكان هذا الثمن لا يجاوز السماح للفرس بالدخول الي جزيرة العرب ، للتعرف على سر بلاغتهم ، وتفوقهم على علومهم ، والاتصال بالمصادر الأساسية للدين الإسلامي في مكة والمدينة ؛ ولم يجد الخلفاء العباسيون مناصاً من إجابتهم إلي طلبهم ، والرضوخ لرغبتهم، مما جعل الفرس ينساحون في الجزيرة العربية ينهلون من معارف العرب ، ويتذوقون من بلاغتهم ، ويحذقون علومهم ، حتي نبغوا في علوم اللغة والدين ، فكان منهم : البخاري ، وسيبويه ، ومسلم ، والنيسابوري ... وغيرهم كثير .

أما في العصر العباسي الثاني ، فقد أكثر الخليفه المعتصم من استقدام الأتراك ليجعل منهم حامية وحرسا خاصا له في مواجهة الفرس الذين كان قد استشرى خطرهم وتحكموا في أزمة الأمور ، وتابعه في ذلك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانا في هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث توحش الأتراك ، وأصبحوا يتحكمون في تعيين الخلفاء أو عزلهم ، بل قتلهم أحيانا .

كان من نتيجة هذا كله ، أن تسرب اللحن إلي لغة العرب ، وشاعت في اللغة العربية ألفاظ فارسية كالسندس والاستبرق ، وألفاظ تركية مثل : عربة ، ويَمَك ، وألفاظ لاتينية مثل : سمراط ، واسطبل ، وألفاظ إيطالية مثل : لوكاندة وبريمُو ، وألفاظ آرامية مثل سكين ، وترعة ، وبالوعة .

وقد أجمعت النقول عن السابقين على أن أول ما ظهر اللحن كان في أبنية الكلم ، قبل ظهوره في الإعراب ، ولاسيما في الحروف المتشابهة في النطق التي تحتاج من الناطق دقة وتحرزاً عند النطق بها مثل حرفي (الضاد) و (الظاء) .

فقد روي أن أبا الأسود الدؤلي ، حينما قدم البصرة ، كان يجلس مع بعض القوم إذ مربهم رجل راجل يسحب فرسه خلفه ، فلما سئل في ذلك رد الرجل قائلا : إن فرسي ضالع . يقصد : ظالع ، والظالع هوالذي يغمز في مشيه لعطب في رجله ، فقال أبو الأسود : إن هؤلاء إخواننا . قد دخلوا الإسلام فصاروا لنا إخوة فهلا وضعنا لهم علما يحفظ عليهم ألسنتهم ؟!

وحكى الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» أن رجلاً بالبصرة كانت عنده جارية تسمي (ظلماء) فكان كلما ناداها قال : يا ضلماء فقال له ابن المقفع : قل يا ظلماء فكان كلما نادها بعد ذلك يقول أيضا : يا ضلماء ، فلما غير عليه ابن المقفع ، قال له : يا أخي أهي جاريتي أم جاريتك ؟!

وحُكِيَ أن رجلا أتى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يسأله أيَضَحّي بِضَبّيٍ؟

فقال عمر : وما عليك إذا قلت : أيضحي بظبي؟!

نخلص مما تقدم أن اللحن بدأ يتسرب إلى اللغة العربية ، وبدأت ألفاظ غربية أجنبية تدخل في لغة العرب ، حتي أصبح العربي ينطق هذه الألفاظ الأجنبية ضمن ماينطق من ألفاظ لغته دون أن يشعر بأنها أجنبيه ، أو يفطن إلى أنها دخيلة على لغته الأصلية .

وهذا ما جعل النابهين الغيورين على اللغة العربية يحسون بالخطر على لغتهم القومية ولغة كتابهم الكريم فيهرعون إلي عمل يدفعون به هذا الخطر الداهم ، ويصدون به هذا السيل الجارف .

فأخذ فريق من الغربيين يتساءلون داخل قبائل الجزيرة العربية الموغلة في البداوة - كما تقدم - عما يطمئن معه إلى سلامة لغتهم ، واستقامة ألسنتهم . يستمعون منهم ويدونون ما يسمعون ، فكان العالم يحمل عدته من الورق المداد ، ويقيم بين ظهراني القبيلة فترة من الزمن ، يدون كل ما يسمعه من أفرادها ، وكان يركز اهتمامه على الكلام الذي ينطق على علاته دون تعمُّل أو تصنُّع ، ومن ثم كان يوجه اهتمامه إلى كلام الصبيان ، والغلمان والمجانين وآتيه والمعتوهين ، ثم يعود أدراجه ، فيعكف على تصنيف ما تجمع لديه من الألفاظ بحسب الموضوعات ، فهذه القطة في النحل ، وتلك في النخل ، وثالثة في البقر ، ورابعة في التين ، وخامسة في الأسد ، وسادسة في الإبل .وهكذا[1] ؛ ثم يحتفظ عنده بهذه القوائم حتى إذا صادفته لفظة تشكك في أصلها ، أعربي هو أو دخيل ، عرضها على هذه القوائم ، فإن وُجِدَت فهي عربية ، وإلا في من الدخيل : وقد واتتنا النقول عن السلف أن الكسائي رأس المدرسة الكوفية دخل إلى البادية لجمع اللغة من أفواه الأعراب ، فأنفق خمسة عشر قنينة من الحبر في تدوين ما سمعه منهم عشافهة .

وبذا كان اللغوي يعد هذه القوائم لنفسه وليس للآخرين ، حيث يستعين بها في معرفة اللفظ العربي من الدخيل ، فقد أطلق عليها اسم (الرسائل الخاصة) حيث لم يكن مصطلح (المعجم) قد ظهر في الوجود بعد ، بل لم يكن العرب قد سمعوا به ولم يحاطوا به خُبْراً .

ويغلب على هذه الرسائل الخاصة ، أن بعضا منها كان يتناول الإنسان وما يتعلق به ، كخلق الإنسان ، والأخبية ، والبيوت ، والديارات ؛ وبعضها يتناول الحيوانات ، والحشرات كالنمل ، والإبل ، والوحوش ، ولكن جل عنايتهم كانت منصرفة إلى الإنسان ، والخيل ، والإبل ، والوحوش ، والحشرات ، وما ذلك إلا لأن هذه الأصناف من المخلوقات كانت هي قوام البيئة العربية ، وهي التي تعيش بين

---

(١) راجع : ضحى الإسلام لأحمد أمين : ١/ ٣٢٢ ، ٢/ ٢٦٣ ، المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ١/ ٣٤.

عمرانيهم ، وتقاسمهم معيشتهم اليومية ، إذ لو كانت هناك سيارات ، أو طائرات ، أو قطارات ، أو صواريخ لتناولوها في قوائمهم ، وضمنوه رسائلهم ؛ ولكنها جاءت مقصورة على ما كان شائعا في بيئتهم.

ثم تطورت هذه الرسائل شيئا ما ، حيث صار أصحابها يقرنون ما يجمعونه من الألفاظ بشيء من الشرح والتفصيل ، حتى تكون الفائدة مزدوجة ، معرفة العربي من الدخيل ، والوقوف على المعنى الأصلي للفظ ، فضلاً على المعاني الجانبية الأخرى ؛ ومن ثم أطلق على هذا النوع اسم (المعاجم الموضوعية المعنوية)، نظراً لكونها تجمع الألفاظ التي وردت في موضوع بعينه في صعيد واحد ، ثم ترتب بحسب الموضوعات ، إلى جانب اشتمالها على معاني الألفاظ التي ترد فيها .

أي الموضوعات كان أسبق بالتأليف ؟

من الموضوعات التي حازت شرف السبق بالتأليف فيها ، هي الموضوعات الدينية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ؛ نظرا لأن الخوف كل الخوف كان منصبا على تسرب هذه الألفاظ الدخيلة إلى كتاب الله تعالى ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم بادر العلماء إلى تأليف المعاجم في « غريب القرآن »و« غريب الحديث » .

فممن ألف في غريب القرآن : أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١هـ) ومن اللغويين : أبوفيد مؤرج السدوسي (ت١٧٤هـ) وأبو محمد يحيي بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) . والنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢٢١هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) وغيرهم .

وممن ألف في غريب الحديث النبوي : أبو عبيدة معمر بن المثنى . والنضر بن شميل وأبو سعيد أحمد بن أبي خالد العزيز الكندي ؛ ومن اللغويين : أبو عمرو

الشيباني ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري ،وغيرهم.[1]

ويأتي في المرتبة الثانية من التأليف بعد الأمور الدينية ، ما يتناول الألفاظ المتعلقة بحياتهم اليومية ، وأمورهم المعيشية ، إذ كان من أوائل من ألف في هذا الصدد : أبو عمرو الشيباني الذي ألف في الإنسان ، والنضر بن شميل الذي ألف في خلق الإنسان ، والسلاح ، والأصمعي الذي ألف في خلق الإنسان ، والخيل ، والوحوش ، النبات ، والشجر ، والنخل والكرم: وأبو عبيد القاسم بن سلام الذي ألف كتابا في خلق الإنسان ونعوته وكتابا في النعم والبهائم ، والوحوش والسباع ، والطير الهوام ، وحشرات الأرض ؛ وعبدالرحمن الهمذاني الذي ألف كتاب: (الألفاظ الكتابية) وأحمد بن فارس القزويني اللغوي الذي ألف كتاب « متخير الألفاظ » ، وأبو هلال العسكري الذي ألف كتاب « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » والخطيب الإسكافي الذي ألف كتاب (مبادئ اللغة) وأبو منصور الثعالبي الذي ألف كتاب (فقه اللغة وسر العربية) ، وابن سيده الذي ألف كتاب (المخصص) إلى غير ذلك من الرسائل والكتب التي تحوي معاني وموضوعات خاصة[2] .

وإلى جانب هذا النوع من التأليف الذي ظهر في القرن الثاني الهجري واستمر حتى القرن الثالث ظهر نوع ثالث من التأليف يقوم على جمع ألفاظ اللغة بطريقة حاصرة ، شارحة معانيها ، وترتب فيه الألفاظ ترتيبا خاصا ، ليسهل على من يريد الوقوف على معنى لفظة الرجوع إليها في موضعها من المصنف ، ويطلق على هذا النوع اسم (معاجم المواد اللغوية) أو (المعاجم اللفظية) ، وكان فرس الرهان في هذا النوع من التأليف العالم اللغوي العماني الأصل الخليل بن أحمد

---

(١) راجع : المعجم العربي للدكتور حسين نصار : ٥٠.

(٢) انظر : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ٣١.

الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥ هـ) حيث قام بتأليف كتاب (العين) الذي يُعَدُّ رائد العمل المعجمي في تاريخ العربية ، ثم تتابعت مدارس المعاجم بعد ذلك ، وألفت عشرات المعاجم بعد القرن الثاني الهجري ، إذ يعد تأليف الخليل بن أحمد لكتاب «العين» هو البداية الحقة للتأليف في معاجم العربية اللفظية بصفة عامة .

تطور التأليف في المعاجم العربية:

تقدم أن تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠– ١٧٥هـ) لكتاب (العين) في القرن الثاني الهجري ، يعد البداية الحقيقية للتأليف في المعاجم العربية اللفظية ، حيث تتابع بعده التأليف في هذا النوع من المعاجم.

إذ في القرن الثاني نفسه ، ظهر معجم (الجيم)[1] لابي عمرو الشيباني (٩٤– ٢٠٦هـ) وقد رتب مادته العلمية اللغوية على الترتيب الهجائي (الألفبائي) بحسب الأصل الأول للكلمة .

وفي القرن الثالث ظهر معجم (التقفية) لأبي بشر الحسان بن اليمان البندنيجي (ت٢٨٤هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافيه ، بحسب الأصل الأخير للكلمة فجعل الحرف الأخير بابا ، والحرف الأول فصلا.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر معجم (جمهرة اللغة) لابن دُرَيْد (٢٢٣– ٣٢١هـ) ، وقد اقتفى فيه طريقة الخليل بن أحمد في جمعه فروع المادة الواحدة في موضع واحد ، كما تبعه في طريقة التقليبات ؛ ولكنه خالفه في ترتيب المادة اللغوية ، حيث رتبها ترتيبا هجائيا (الفبائيا) بحسب الأصل الأول للكلمة.

وفي القرن نفسه ظهر معجم (ديوان الأدب) لإسحق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافية، كما فعل البندنيجي.

---

(١) «الجيم» في لغة العرب تعني: الديباج ، هكذا ذكر الفيروزابادي في (القاموس)، كما ذكر صاحب (تاج العروس) أن لأبي عمرو الشيباني كتابا في اللغة سماه (الجيم) كأنه شبهه بالديباج لحسنه، ولعل صاحبه أراد ذلك . (انظر : القاموس المحيط : ٤/٩٤ ، ودراسات في المعجمات العربية ، ٣٠

كما ظهر معجم (البارع) لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، وقد رتب مادته اللغوية على طريقة الخليل بن أحمد في كتابه (العين).

وظهر أيضا معجم (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) ونهج في ترتيبه نهج الخليل في كتابه (العين) أيضا ، من حيث التزام طريقة التقليبات ، وجمع فروع المادة الواحدة في موضع واحد.

وظهر في القرن الرابع أيضا معجم (المحيط) للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) كما اختصر كتاب (الجمهرة) لابن دريد في مؤلف سماه (الجوهرة) ، وقد سار في الكتابين على نهج الخليل في كتاب (العين).

وظهر أيضاً معجم(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (٢٢٢ - ٣٩٣هـ) وقد رتب مادته العلمية على نظام القافية ، كما فعل البندنيجي والفارابي.

وبعده ظهر معجم (المجمل) لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني (٣٢٩ - ٣٩٥هـ) وقد رتب مادته اللغوية على نظام الأبجدية العادية ، كما فعل أبو عمر الشيباني كتابه (الجيم) .

ونظرا لكثرة المعاجم التي ألفت في العصر الرابع الهجري ، أصبح جديرا بأن يطلق عليه اسم (العصر الذهبي للمعاجم).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر معجم (المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلسي (٣٩٧ - ٤٥٨ هـ) وقد سار في ترتيب مادته اللغوية وجمع فروع المادة الواحدة في موضوع واحد على نهج الخليل في كتاب (العين)

وفي القرن السادس الهجري ظهر معجم (أساس البلاغة) لأبي القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) وقد رتب مادته اللغوية على نظام الأبجدية العادية ، كما فعل أبو عمرو الشيباني في (الجيم) وابن فارس في (المجمل) ، ويمتاز (أساس البلاغة) عن غيره من المعجمات ، بأنه لا يكتفي بشرح معنى اللفظة ، بل يشير إلى مواطن استعمالها ، وذلك بذكرها في سياقات

شعره ، او منثوره من فصيح كلام العرب – شعره ونثره – وبعنايته الفائقه بالتفرقة بين المعاني الحقيقة والمعاني المجازية.

وفي القرن السابع الهجري ظهر معجم (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير الجزري (٥٤٤ – ٦٠٦هـ) وقد سار في ترتيبه على طريقة الزمخشري في (أساس البلاغة) حيث رتب موادة اللغوية بحسب الأبجدية العادية .

كما ظهر معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للحسن بن محمد الصغاني (٥٧٧– ٦٥٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافيه كما فعل الجوهري في (الصحاح).

وظهر أيضا معجم (تهذيب الصحاح) لمحمود بن أحمد الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) وقد اتبع في ترتيبه طريق القافية كما فعل الجوهري في (الصحاح) .

وظهر كذلك معجم (مختار الصحاح) لزين الدين محمد بن محمد الرازي (ت ٦٦٦ هـ) وهو اختصار لصحاح الجوهري ، وقد رتبه الرازي على طريقة القافيه كما في « الصحاح » وقد أعيد ترتيبه على طريقة الأبجدية العادية بمعرفة محمود خاطر سنة ١٩٠٥ م.

وفي القرن الثامن الهجري ظهر معجم (لسان العرب) لمحمد بن المكرم المعروف بابن منظور المصري (٦٣٠ – ٧١١ هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافية ، ويقع في عشرين جزءا من الحجم الكبير، حيث يشتمل على نحو الثمانين ألف مادة لغوية.

كما ظهرأيضا معجم (المصباح المنير) لأحمد بن محمد المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على نظام الأبجدية العادية التي اتبعها أبو عمرو الشيباني وابن فارس والزمخشري .

وفي القرن التاسع الهجري ظهر معجم (القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٧٢٩ – ٨١٧ هـ) وقد رتب مادته اللغويه على نظام القافية كما فعل الجوهري في الصحاح .

وبعد صدور معجم (القاموس المحيط) تكاد تكون حركة تأليف المعاجم قد توقفت ، إذ ربما لم يعد لدى اللغويين شيئا جديدا يمكن أن يقدموه للناس ، ولم يعد في الإمكان أبدع مما كان ، وإنما كان اللاحق بعد ذلك حملا على السابق ، إذ كان كل من صنف معجما جديدا ، يستقي مادته اللغوية ونظام ترتيبه من المعاجم التي سبقه بها آخرون ، ولم يعد في جعبة اللغويين بعد ما تم إخراجه من معاجم ، سوى مجرد شروح على المعاجم السابقة ، أو نقود ومآخذ عليها . مثل معجم (تاج العروس) الذي ألفه السيد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٦هـ) شرحا على (القاموس المحيط) وهو مرتب على نظام ترتيب القاموس ، ومعجم (الجاسوس على القاموس) الذي ألفه أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧ هـ) وقد تناول فيه (القاموس المحيط) في ثلاثة وعشرين نقدا ، ضمنها مقدمة (الجاسوس) .

معاجم العصر الحديث

بعد صدور (القاموس المحيط) وشروحه ونقوده ، ظهرت معجمات حديثة التزمت جميعها في ترتيب موادها اللغوية نظام الأبجدية العادية من أهمها:

١- (محيط المحيط في اللغه واصطلاحات الفنون) تأليف المعلم بطرس البستاني اللبناني (١٨١٩ - ١٨٨٣م) .

٢- «أقرب الموارد في فصيح العرب والشوارد» تأليف سعيد الشرتوني اللبناني « (١٨٤٩ - ١٩١٢م) .

٣- «البستاني» تأليف الشيخ عبد الله البستاني اللبناني (١٨٥٤ - ١٩٣٠م) .

٤- « المنجد » تأليف الأب لويس معلوف اليسوعي اللبناني (١٨٦٧- ١٩٤٦م)

٥- «المورد» تأليف منير البعلبكي اللبناني.

ومما توج به العصر الحديث ظهور المعجمات اللغويه التي صدرت عن مجمع اللغة العربية القاهري مثل : المعجم الكبير ، ومعجم الفاظ القرآن الكريم . والمعجم الوسيط.

كما أخرجت المطابع في العصر الحديث أنواعا أخري من المعاجم ، تعد روافد للمعاجم اللغوية الأصيلة ، غير أنها تتميز عنها بأنها تعالج قضايا متنوعة ، وتخصصات مختلفة ، لكل منها هدفه ومنهج إعداده ، وأسلوب عرضه ، ويمكن تصنيف هذه المعاجم الحديثة في الأنواع التالية:

(أ) المعاجم التاريخية .

وتهتم هذه المعاجم بالبحث في أصل الكلمة ، وتتبع استعمالها عبرالعصور ، معتمدة على النصوص التي وردت بها ، وما طرأ على هذه النصوص ، فتقوم بالتأريخ لأصل الكلمة ، وتتبع حياتها ، ومايطرأ على بنيتها من تغيير على مر

العصور . ويُعد معجم (أكسفورد) التاريخي للغة الانجليزيةمن أهم الإنجازات في مجال المعاجم التاريخية(١)

(ب) المعاجم الاشتقاقية :

وتهتم بمعرفة أصل الكلمة ، وهل هي عربية أم معربة أم دخيلة ، ثم اشتقاقها لمعرفة ما يمكن أن يشتق منها من الصيغ ، ومعاني هذه الصيغ الممكنة . وعليه فمهمة هذا النوع من المعاجم الوقوف على أصل الكلمة ، والمستوى اللغوي الذي تنتمي إليه.

(ج) المعاجم المتخصصة

ويطلق عليها اسم (معاجم المصطلحات) وتهتم بحصر مصطلحات علم بعينه أو فن بذاته ، وتتناول كل مصطلح بالشرح والتفسير بحسب استخدام أهل الفن له والمتخصصين فيه ، ويشترط في هذا النوع أن يكون بأقلام متخصصين في الفن ذاته.(٢)

(د) معاجم الموسوعات

ويطلق عليها اسم (دوائر المعارف) وهي عبارة عن سجلات أبجدية للمعارف العامة ، كما أنها معاجم للعلم والفكر ، تعد الإنسان بالمعنى اللغوي للألفاظ ، فضلا على ما توفره من خلاصة دقيقة لما يرتبط باللفظ من بحوث ودراسات علمية مثل (دائرة المعارف الإسلامية) و(دائرة المعارف البريطانية)(٣) .

---

(١) انظر : مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي : ٧٨.

(٢) راجع : كلام العرب للدكتور حسن ظاظا :١٢٥.

(٣) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ٣٣، ٣٤.

المبحث الثاني

المعجم

اشتقاقه ودلالته

الإعجام – لغة – مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة (أَعْجَمَ) ، ويقال المُجْمَة أيضا ، وهي بمعنى : الإبهام والغموض ، من « عجم الزبيب » وهو بذوره لما فيه من الخفاء والستر ، وعدم الوضوح . ومنه :الحيوان الأعجم، لعدم قدرته على الإفصاح عما في نفسه ، أو الإبانه عن ما يريد .

والإعجام ضد الإعراب .

فإذا كان الإعراب يعني : الإفصاح والإبانة ، لقول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – :

« البِكْرُ تُسْتَأمَرُ وإذْنُهَا صِمَاتُهَا ، وَالأيِّمُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا »[1] ، أي تفصح وتبين . فإن الإعجام يعني : الإبهام ، والغموض .

ومعجِم –بكسر الجيم – اسم الفاعل من الفعل (أَعْجَمَ) وبفتحها اسم مفعول بمعنى : مُبْهَم ، ومُغْلَق ، أو مصدر ميمي ، بمعنى : الإبهام والغموض والانغلاق .

ولكن كيف يتسنى أن يكون الكتاب الموضوع بغرض الإفصاح عن معاني الألفاظ ، والإبانة عن مكنوناتها – حقيقة ومجازا – يسمى (مُعْجَم) وهو من الإبهام والخفاء والستر ؟!

أقول : إننا لو رجعنا إلى ما درسناه من علم الصرف في الفرقة الأولى

---

(١) انظر في الحديث : الجامع الصغير للسيوطي : ١ / ١٧٤ .

واسترجعنا معاني صيغ الأفعال ، المزيدة منها على وجه الخصوص ، لتبينا أن معاني زيادة (الهمزة) : السلب والإزالة ، بمعنى أنها تزاد في الفعل فتسلبه المعنى الذي وضع – أصلا – بإزائه ، بل تعطيه معنى مضادا ، ودلالة عكسية نحو: أقذيت عين فلان ، أي : أزلت القذي [1] عن عينه ؛ وأشكيت فلانا ، أي : أزلت شكواه ؛ أعجمت الكتاب أي: أزلت عجمته ، وفسرته ، وأوضحته ؛ وعن ذلك يقول ابن جني : « ثم إنهم لما قالوا : أعجمت الكتاب ، إذا بينته وأوضحته فهو إذن لسلب معنى الاستبهام لا لإثباته »[2] .

ومِنْ ثَمَّ فإن (المعجَم) اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة السلب والإزالة (أعْجَمَ) فهو بمعنى : المزالة عجمته ، والمفسَّر ، والموضَّح ، والمبيَّن : أو مصدر ميمي منه، فهو بمعنى : إزالة العجمة ، والتفسير ، والتوضيح ، والتبيين .

أما في الإصطلاح ، فالمعجم : «كتاب تدون فيه ألفاظ اللغة ، مرتبة على نمط معين ، مشروحة شرحا يزيل إبهامها ، ومضاف إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده ، والوقوع على طلبته»[3] .

ويستدل على صحة هذا الذي ذهبنا إليه بأن نصر بن عاصم الليثي ، حين عمد إلي نقط حروف الهجاء المتشابهة للتمييز بينها كالباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم والحاء ، والخاء...سمي هذا النقط « نقط الإعجام » لأنه يرفع الغموض عن الحروف المتشابهة ، ويزيل إبهامها ، فيمتاز كل حرف منها عن صاحبه ؛ وذلك بخلاف « نقط الاعراب » الذي فعله أبوالأسود الدؤلي حينما أقدم على تشكيل حروف المصحف ، والذي كان الغرض منه الإفصاح والإبانة عن شكل الحرف هل هو مفتوح أو مكسور أو مضموم ؟

---

(١) القذى : غبار أو نحوه ، يستقر في العين فيؤدي إلى إحتقانها .

(٢) انظر : الخصائص لابن جني :٣/ ٧٥ .

(٣) راجع : المعاجم اللغوية للدكتور ابراهيم نجا الابياري: ٥٠ .